

روح المعاني

السبع والأرضون السبع فعن ابن عباس من طريق السدي أنه قال : تقرن السموات السبع والأرضون السبع كما تقرن الثياب بعضها ببعض فذاك عرض الجنة والأكثر من على أنها فوق السموات السبع تحت العرش وهو المروى عن أنس بن مالك وقيل : إنها في السماء الرابعة وإليه ذهب جماعة وقيل : إنها خارجة عن هذا العالم حيث شاء الله تعالى ومعنى كونها في السماء أنها في جهة العلو ولا مانع عندنا أن يخلق الله تعالى في العلو أمثال السموات والأرض بأضعاف مضاعفة ولا ينافي هذا خبر أنها في السماء الرابعة إن صح ولا ما حكى عن الأكثر لأن ذلك مثل قولك : في الدار بستان إذا كان له باب منها يشرع إليه مثلاً فإنه لا ينافي خروج البستان عنها وعلى هذا التأويل لا ينافي الخبر أيضاً كون عرض الجنة كعرض السموات والأرض من غير حاجة إلى القول بأنه ليس المراد من السموات السموات السبع كما قيل به .

ومن الناس من ذهب إلى أنها في السماء تحت العرش أو الرابعة إلا أن هذا العرض إنما يكون يوم القيامة حيث يزيد الله تعالى فيها ما يزيد .

وحكى ذلك عن أبي بكر أحمد بن علي قيل : وبذلك يدفع السؤال بأنه إذا كان عرض الجنة كعرض السموات والأرض فأين تكون النار ووجه الدفع أن ذلك يوم القيامة وأما الآن فهي دون ذلك بكثير ويوم يثبت لها ذلك لا تكون فيه السموات والأرض كهذه السموات والأرض المشبه بعرضها ولا يخفى أن القول : بالزيادة في السعة يوم القيامة وإن سلم إلا أن كونها اليوم دون هذه السموات والأرض بكثير في حيز المنع ولا يكاد يقبل والسؤال المذكور أجاب عنه رسول الله ﷺ بغير ذلك .

فقد أخرج ابن جرير عن الترمذي رسول هرقل قال : قدمت على رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم بكتاب هرقل وفيه : إنك كتبت تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض فأين النار فقال رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم : سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار ولعل المقصود من الجواب إسقاط المسألة وبيان أن القادر على أن يذهب الليل حيث شاء قادر على أن يخلق النار حيث شاء وإلى ذلك يشير خبر أبي هريرة رضي الله عنه وذهب أبو مسلم الأصفهاني إلى أن العرض ههنا ليس مقابل الطول بل هو من قولك عرضت المتاع للبيع والمعنى أن ثمنها لو بيعت كثر من السموات والأرض والمراد بذلك عظم مقدارها وجلالة قدرها وأنه لا يساويها شيء وإن عظم فالعرض بمعنى ما يعرض من الثمن في مقابلة المبيع وربما يستغنى عن هذا عن تقدير ذلك المضاف ولا يخفى أنه على ما فيه من البعد خلاف المأثور عن السلف الصالح من أن

المراد وصفها بأنها واسعة أعدت للمتقين أي هيئت للمطيعين ﷻ تعالى ولسوله صلى الله عليه وسلم عليه وإنما أضيفت إليهم للإيذان بأنهم المقصودون بالذات وإن دخول غيرهم كعصاة المؤمنين والاطفال والمجانين بطريق التبعية وإذا حملت التقوى في غير هذا الموضع وأما فيه فبعيد على التقوى عن الشرك لا ما يعمه وسائر المحرمات لم نستغن عن هذا القول أيضا لأن المجانين مثلا لا يتصفون بالتقوى حقيقة ولو كانت عن الشرك كما لا يخفى .

وجوز أن يكون هناك جنات متفاوتة وإن هذه الجنة للمتقين الموصوفين بهذه الصفات لا يشاركهم فيها غيرهم لا بالذات ولا بالتبعية ولعلها الفردوس المصرح بها في قوله صلى الله عليه وسلم : إذا سألتكم الجنة فأسألوه الفردوس وفيه تأمل والآية ظاهرة في أن الجنة مخلوقة الآن كما يدل عليه الفعل الماضي وجعله من باب ونفخ في الصور خلاف الظاهر ولا داعي إليه كما بين في محله ومثل ذلك أعدت السابق في حق النار